

صورة المرأة في الفكر الذكوري الغربي

The image of women in western male thought

دغول دنيازاد

جامعة وهران 2 (الجزائر)، degoul.douniazed@univ-oran2.dz

تاريخ الإرسال: 2022/ 12/31 تاريخ القبول: 2023/06/14 تاريخ النشر: 2024/03/28

ملخص: لم تكن علاقة الفيلسوف اليوناني بالمرأة جيدة إطلاقاً منذ ديمقريطس الذي حاربها و اعتبرها معطلة للفلسفة فاجتنب الزواج معتبراً إياه معيقاً للتأمل و لم تتغير صورة المرأة لدى الفلاسفة اليونانيين خصوصاً عند أفلاطون و أرسطو فظلت راسخة لقرون ، كابدت عناءها الاتجاهات النسوية التي تعمل من أجل استدعاء الكوني لإنجاز فهمها و إفهام الآخر بأن المرأة هي ذلك الجزء النذ لجزئية الرجل، و تكمن الصعوبة الإستمولوجية والتاريخية في أن التراث الأبوي اليوناني و أخطره النسق الأرسطي قد وجد الأرضية الستوسولوجية المناسبة لترسيخ و تنميط صورة المرأة المطيعة و التابعة للرجل و الغير قابلة للتفكير في العقل الغربي و الشرقي الحديث، متأثراً بذهنية المجتمع و الميثولوجيا اليونانية ، و الحقيقة أن الفيلسوف النفعي جون استيوارت ميل هو الفيلسوف الوحيد في العصر الحديث الذي غير صورة المرأة لدى الفيلسوف تغييرا راديكاليا مطالباً بالمساواة التامة بين الجنسين و تحرير النساء من عبوديتهن و هذا ليس لتحقيق سعادتهن فحسب بل لتحسين الوضع الفكري و الأخلاقي للنوع الإنساني برمته.

الكلمات المفتاحية: : الفيلسوف اليوناني ، المرأة ، أفلاطون ، أرسطو ، الميثولوجيا اليونانية ، المساواة

Abstract: The relationship of the greek philosopher with woman was not good at all , since Democritus , who fought her and considered her a hindrance to philosophy , avoided marriage , considering it an obstacle to contemplation, the image of women in greek philosophy did not change, with plato and Aristotle specialy , in ordre to achieve her understanding and understanding of the other, that the woman is the opposite part of the man in the framework of the human whole, the epistemological and historical difficulty of feminism lies in the fact that the greek patriarchal heritage , the most dangerous of the aristotelain system , has found the appropriate sociological ground for consolidating the image of the obedient and submissive woman in minde , the philosopher john stuart mill is changed the image of woman , he demanding complete equality between the sexes and the liberation of woman from their slavery that improve the intellectual and moral condition of the entire human race..

Keywords: Greek philosopher, woman , plato , Aristotle, greek methology , equality between the sexe.

المؤلف المرسل: دغول دنيازاد، الإيميل: degoul.douniazed@univ-oran2.dz

دغول دنيازاد

1. مقدمة:

كانت و لازالت المرأة قضية شائكة بالنسبة للفيلسوف منذ الفترة الكلاسيكية التي عرفت فيها أثينا أوج تحضرها الفكري فإن المثير للتساؤلات أن النساء لم يكن لهن نصيب فيه فأماكن الخطاب السياسي كانت مقتصرة على الرجال رغم أن هنالك فيلسوفات و مفكرات يتم التغاضي عنهن و تجاهلهن عمدا ظلت صورة المرأة ملعونة في نظر الفيلسوف اليوناني فبالنظر إلى أفكاره و نظرياته في الوجود و المعرفة و التي يدعوا من خلالها إلى الإتصاف بالموضوعية و التأمل العقلي الحر للوصول إلى الحقيقة فإن هذا لم ينطبق على المرأة فهو الذي رسم الصورة الحسبة لها فعكست كراهيته للأثنى سوسيولوجيا التراث اليوناني و ميثولوجياه و في هذا الإطار سنحاول مناقشة إقصاء المرأة في العالم الغربي القديم و البحث في الخلفيات التي جعلت العلاقة بين المرأة و الفيلسوف تزداد سوءا حتى في عصر التنوير الذي افترض أن يكون تنويرا للمرأة و الرجل معا .

ومن هذا المنطلق طرحنا الإشكالية التالية:

- كيف كانت صورة المرأة في المجتمع اليوناني القديم وكيف انعكس ذلك في فلسفة أفلاطون وأرسطو؟
- هل كانت الفلسفة الحديثة منصفة للمرأة؟ أم أنها كانت انعكاس للتراث اليوناني؟
- هل استطاعت اسهامات جون استيوارت ميل أن تغير من صورة المرأة الغربية؟

2. صورة المرأة في الفكر اليوناني القديم:

1.2. المرأة والميثولوجيا اليونانية

لقد كان المجتمع الأثيني مجتمعا أبويا بامتياز فالرجل فيه هو السيد الحر و المالك لجميع الحقوق السياسية و المدنية و هو أيضا المالك للزوجة و الأبناء و قد ساد نوعين من النساء : المرأة الحرة تتمثل في الأثينية الأصلية التي يحرم عليها الخروج خارج المنزل ووظيفتها الأساسية هي أعمال البيت و تربية الأطفال ، أما المرأة الأجنبية فهي لا تنطبق عليها هذه القيود لكنها ممنوعة من المشاركة في الحياة الثقافية و السياسية ، و بالمناسبة فإن الخمار لم يكن مختصا بالمرأة الشرقية ، فالإيونانيات كن يرتدين الخمار أيضا ،

فإذا خرجن إلى الشارع وجب عليهن أن يتحجبن و هو فرض على المرأة السيدة وحدها دون الجواري (الفتاح، 1996، صفحة 29) ، فالخمار كان بمثابة علامة تدل على أن المرأة سيدة و ملكية خاصة لا يجوز أن تمس و فضيلتها تتمثل في صيانة نفسها و إنجاب أطفال شرعيين ، كما لا يخفى علينا أن المجتمع اليوناني كان مجتمعا وثنيا يؤمن بتعدد الآلهة و مليئا بالأساطير و قصصها الخيالية فكيف كان تصور الأسطورة للمرأة ؟

كانت الأسطورة اليونانية مرآة عاكسة للمجتمع اليوناني فصورت المرأة بشكل سيئ جعلت منها خاضعة للرجل و تعيش في قلق دائم حول مصيرها المظلم (ديورنت) ، بل كانت رمزا للغدر و الخيانة فنلمس هذا التدنيس من خلال كتابات هوميروس يقول في الأديسة : [فافتح الإله الأكبر زيوس بكلمة في مجلس الملب توجع فيها لما يلقاه من بني الإنسان ، فذكر مأساة أجاممنون المسكين و ما لقيه على يدي زوجته و عشيقها الماثوم ايجستوس من غدر و غيلة ، ثم أنحى بالملامة على هؤلاء البشر البائسين الذين يقولون إن كل ما يصيبهم من خير و خير هو من عند الآلهة و ما هو إلا من عند أنفسهم] (هوميروس، 2013)

بين هذه السطور يتجلى وضع المرأة في السماء موازيا لوضعها في الأرض رغم أن هيرا كانت إلهة و زوجة صالحة لزيوس فقد كانت تعاني من خيانة زوجها و استغرقت حياتها في الانتقام من زوجاته و عشيقاته و بنلوبي في الأديسة التي أخلصت لزوجها الغائب في غمار المكائد و المغامرات فكانت طاهرة حكيمة استعملت ذكاءها لصرف الخطاب الأغبياء عن قصرها لكن الرواية اليونانية ألزمتها بوظائفها الطبيعية التي لا تتعدى الغزل و النسج فلم تتولى أمور الحكم بل كان ابنها يتشاجر معها إذا ما حاولت ذلك طالبا منها العودة إلى أعمالها المعتادة (هوميروس، 2013، صفحة 10 . 15)

لقد احتقرت الأسطورة المرأة احتقارا كبيرا و صنفتها في أدنى المراتب رغم سمة الألوهية لدى الأنثى لكنها ظلت دوما في نظر هوميروس و هيزيود رمزا للشهوة و الخيانة و الأفعال السيئة عموما بل يبالغ هيزيود في كراهيته لها فيروي أن الرجل كان يعيش في العصر الذهبي لكن مجيئ المرأة ساء حال العالم

دغول دنيازاد

فتحول إلى عصر نحاسي بسبب الأشباح التي جلبتها المرأة و المتمثلة في المرض و الفقر ثم كثرت المصائب فانتقل الى العصر الحديدي حيث تغلغلت الخطيئة و ظهر القتل (الفتاح، 1996، صفحة 29) و هذه الرواية الأسطورية تتشابه إلى حد ما مع قصة آدم و كيف مثلت المرأة وظيفة الإغواء فكانت السبب في ضعفه و عقابه.

و بالرجوع إلى ثانيا الديانة اليهودية نجد أن هذه العقيدة مترسخة تجعل من المرأة ممنوعة من تلاوة التوراة و ليس لها الحق في المشاركة الدينية لأنها قد تفرغ الكتاب المقدس من قدسيته و متى كانت سبب الإغواء فإنها في منزلة شيطانية (السنوسي، صفحة 22) و تتكرر هذه الصورة في الديانة المسيحية فهي المطيعة و المذابة في سلطة ذكورية مطلقة تتمحي فيها ذاتيتها و شخصيتها و كل حقوقها، و لم يكن حال النساء أحسن وضعا قبل الأسطورة اليونانية فبالعودة إلى المراجع التاريخية حول بداية الإنسان نجد أن حال المرأة كان أشبه بالحيوان فالزواج في الجماعات البدائية لم يكن مقدسا و لم يكن له اعتبار فكان يقصد به " تجربة " ففي قبيلة هواي يمكن للزواج أن ينحل لأبسط الأسباب و في قبيلة تاهيني إذا أنجب زوجان طفلا كان يمكن لهما أن يقتلانه دون أن يقع عليهما اللوم في ذلك و كانت تقاس أهمية المرأة بقدرتها على الإنجاب و بقوتها البدنية و حتى طريقة ترويج المرأة كانت مهينة ففي قبائل ماليزيا كان الزوج يسلب زوجته بالقوة من أهلها ثم يعود إليهم لكي يجعل هذه السرقة مشروعة فيدفعوا لأهلها مبلغا من المال و عند بعض أهالي غانة الجديدة كان الرجل يخطف فتاته ثم يرسل أصدقاءه ليساوموا أباه فيها (ديورنت، صفحة 68) و يعتقد ول ديورانت أن المدنية هي التي وضعت حدا لهذه الأشكال الفوضوية للزواج و أقامت الحد للشهوة و العلاقات الجنسية و جعلت لها إطار شرعي يسمى الزواج ، فهل حررت الملكية المرأة حقا أم وضعتها في سجن من نوع آخر قدمت للرجل ذرائع جديدة لتملكها و التصرف فيها كبقية أملاكه فالحقيقة أن الملكية لم تكن إلا نوعا جديدا من العبودية أما كلود ليفي شتراوس فيرجع الفضل في تنظيم الأسرة إلى الأستراليين الذين اكتشفوا أن الروابط الزوجية تشكل الأساس الذي تقوم عليه سائر المؤسسات الاجتماعية (شتراوس، صفحة 37) و الحقيقة أن المرأة فلم تسترجع إنسانيتها و قيمة وجودها إلا مع

التشريع الإسلامي الذي حرم وأدها واستنكر اهانتها فكانت السيدة و المالكة و التاجرة و المشاركة في الحروب بل لها ما للرجل من حقوق و وواجبات.

3.2 المرأة في جمهورية أفلاطون:

إن من أهم القضايا التي ناقشها أفلاطون في كتاب الجمهورية هي قضية العدل وكيفية تحقيقه في المدينة الفاضلة فهل هذه المناقشة تنصف المرأة على عكس ما هو سائد في مجتمعه؟ وقبل عرض أفكاره حول المرأة وجب العودة سريعا للأوضاع الاجتماعية في المدن اليونانية في تلك الحقبة

ففي إسبرطة كان سن الزواج كما حددته الدولة الثلاثين للرجال والعشرين للنساء، أما العزوبة يجرم عليها القانون فيحرم صاحبها من الحق في الانتخاب ومشاهدة المواكب العامة، أما المرأة فقد منحت لها بعض الحقوق المدنية المتعلقة بالإرث وهذه الميزة هي بسبب الوضع العسكري في إسبرطة ففي الوقت الذي ينشغل فيه الرجال بالحروب فتح المجال للنساء للخروج من عزلتهن فيمكن للمرأة شراء حاجاتها في غياب زوجها (كيال، 1981)

أما في أثينا فقد كانت المرأة تحل في منازل كبيرة ضيقة الأبواب محروسة لا يسمح لها بمغادرة البيت و كل وظائفها مرتبطة بالبيت و الزوج صاحب الإرادة و السلطة و كانت محرومة من الإرث و لا يجوز لها أن تطلب الطلاق بل تظل خادمة مطيعة لسيدها و فضيلتها تكمن في إنجاب أطفال شرعيين و أفلاطون يتفق تماما مع هذا الوضع السائد فنجده يستعمل عبارات مثل " امتلاك النساء " و " اقتناء زوجة " أو " حياة امرأة خاصة " (الفتاح، 1996، صفحة 41.42) و هذا يعني زوجة خاصة من واجبها إنجاب أطفال من صلب الرجل لنقل ممتلكاته إليهم ، أما المرأة الأجنبية فدورها إمتاع الرجل في أوقات فراغه دون أن يكون لها حق الزواج أو الإنجاب و هكذا تكون المرأة سيدة أو جارية فوضعها المتدني واحد ووظائفها لا تتعدى خدمة الرجل.

و قد اشتدت كراهية أفلاطون للمرأة فيقول على لسان سقراط "إننا سنكون على حق لو جنبنا عظماء الرجال من ذلك العويل و النحيب و تركناه للنساء" فحذر الرجال من التشبه بالنساء لأنه أسلوب منفرد

دغول دنيا زاد

فيقول على لسان سقراط " لن نسمح للرجال الأخيار أن يقلدوا المرأة سواء كانت شابة أو مسنة أو متخاصمة مع زوجها ، أو عندما تكون محزونة أو باكية " (أفلاطون، 1994) و قد كان أفلاطون يصنف النساء مع العبيد و الأطفال و الأشرار و المجنونين من الرجال أو مع الحيوانات و القطيع (أو كين، 2009)

" اللذات و الرغبات و الآلام المعقدة موجودة في الأطفال و النساء و الخدم ، أما العقل فهو يرتبط بالرجال الأفاضل و المثقفين " (أفلاطون، 1994، صفحة 197.198) و نستشف من كلمات أفلاطون بأنه ينسب كل ما هو خير و فاضل كصفات الحكمة و الشجاعة للرجال و ينسب الصفات الحسية للنساء و نحن نعلم مدى كراهية أفلاطون لما هو حسي فالحقيقة موجودة في عالم المثل و أما المحسوسات فهي مخادعة و مجرد ضلال للحقيقة و لكن المفارقة التي نقع فيها بين سطور الجمهورية هي أن أفلاطون يدعو لتقييد النساء و نبذهن جملة و تفصيلا من جهة و من جهة أخرى يسمح لهن بالمشاركة في حماية المدينة و بالتدرب مع الحراس و كأنه يحاول التسوية بين الرجل و المرأة من جهة أخرى ، فكيف عسانا نفهم أفلاطون و ما هو حل هذا اللغز ؟

في البداية وجب الالتفات إلى نقطة مهمة جدا هي أن أفكار أفلاطون و آراءه ليست ثابتة بالمطلق في كل محاوراته خصوصا حول قضية الملكية فهو يعتقد أن الملكية هي شر و يجب إسقاطها و التخلي عنها لأنها تخلق الأنانية في الأنفس و حب التملك و هذه الصفات تبعد الشخص عن الفضيلة و قد ذكرنا سابقا بأن المجتمع الأثيني كان ينظر للمرأة السيدة على أنها ملك كبقية الممتلكات الأخرى و من المنطقي إذن أنه بسقوط الملكية فإن تملك المرأة أيضا يسقط و بالتالي فإن الأسرة تسقط أيضا و تصبح مشاعة خصوصا بين طبقة الحراس " إن ما يفرق وحدة الدولة هو الأنانية في الأفراح و الأحزان و هذه التفرقة بين الناس إنما ترجع إلى أنهم في المجتمع لا يستخدمون كلمات "ملكي" و "ليس ملكي" بالنسبة لأشياء واحدة" (أفلاطون، 1994، صفحة 312) و السؤال المطروح إذا كانت وظيفة المرأة المملوكة تنحصر في أعمال

البيت و خدمة الزوج فما هي وظيفة المرأة المشاعة؟ وهل حقيقة ساوى بين المرأة المشاعة والرجل؟

يذهب جون جاك روسو إلى القول بأن أفلاطون لم يساوي مطلقا بين الرجل و المرأة و لم ينوي حتى ذلك بل وقع في حيرة من وظيفتها بعد إلغاء الأسرة فلم يكن عليه سوى أن يحيلها لرجل و اشترط على المرأة المترجلة التي تذهب للحرب أن تتخلى عن كل صفات الأنثى ، فعليها مثلا أن تسير في الشارع أثناء التمارين الرياضية و العسكرية عارية تماما مثلما يفعل الرجل دون أن تشعر بالخجل فلم يعد هناك فرق في النوع بين الرجل المرأة ، فالوظيفة الجنسية هي كل ما بينهما من اختلاف فعلى المرأة أن تتجرد من كل صفاتها كأنثى و أن تصبح رجل

و إذا كانت سيمون دي بوفوار من النسويات التي أيدت أفكار أفلاطون حول المرأة المشاعة و اعتبرتها بداية تاريخية لتحرير النساء فهل هذا التحرر هو إلغاء لمعالمها و خصوصيتها كأنثى؟ . ثم إن سيمون دي بوفوار ترى أن جسد المرأة هو أحد العناصر الأساسية في تشكيلها و تحديد وضعها في العالم أما أفلاطون فقد قرر إلغاء هذا الجسد بالكامل بل هو مجرد آلة للإنجاب كما أرادها أن تكتسب صفات رجولية كالقدرة على القتال و مواجهة المعارك و ممارسة التمرينات و هي عارية تماما أمام الرجال (زكريا، 2004) ، و كأنها واحد منهم دون فارق بين الجنسين .

و لما استصعب أفلاطون تطبيق شيوعية الأملاك في جميع طبقات المدينة الفاضلة فإنه خص بها الطبقة العاقلة التي تقود المجتمع نحو الفضيلة ، فينبغي لها أن لا تمتلك شيء بل على أفرادها أن يعيشوا حياة خشنة متقشفة فيها الكثير من العناصر الإمبرطية مع تهذيب النفس بالرياضة و الموسيقى على أن تقوم الطبقة الدنيا بالإنفاق عليهم (باركر، 2002، صفحة 267) و أما الحكام الذين لا يملكون منزلا و لا أسرة و لا زوجة فهم في مأمن من الأنانية إذ ليس لديهم مكان يحملون إليه مكسبهم و هذه هي العدالة حسب أفلاطون ، و لكنه لا يفتأ أن يعود أدراجه في محاورة لاحقة له نعتها ب " القوانين " و التي راجع من خلالها القوانين التي وضعها في المدينة كما انتقد التدريبات البدنية التي فرضها على الحراس قائلا " إن التمارين البدنية و الأكلات العامة التي تتكلم عنها و لو أنها ذات فائدة للمدينة من وجوه كثيرة إلا أنها تفتح الباب للفتن و الشغب " (أفلاطون، محاورة القوانين، 1986) ثم يلغي الشيوعية و يعيد الملكية

دغول دنيازاد

الخاصة و بالتالي يعود تكوين الأسرة في نظامه و تعود المرأة لوضعها السابق كربة بيت و خادمة السيد " طالما كان لكل منا نساء و أطفال و منازل و غير ذلك من الأشياء التي يمتلكها الأشخاص ملكية خاصة فإننا لن نحقق مشروعنا كما خططنا له " (أفلاطون، محاوره القوانين، 1986، صفحة 374)

و في هذا السياق نجد أن أفلاطون لم يهتم بتاتا بقضية المرأة و لا بمحاولة مساواتها مع الرجل بل إهتم بوضع نظامه المثالي في المدينة الفاضلة و تبعاً لذلك كان وضع المرأة يتأرجح مع تطور أفكاره بل نجد أن المرأة المشاعة الهدف منه هو الحصول على أفضل نسل و كلما أجتهد الجنود في وظيفتهم يتم مكافئتهم بعدد أكبر من الزوجات و هذا الأمر فيه احتقار أكثر من حالها السابق، كما أن فكرة إلغاء الأسرة هي من أكثر الأفكار التي انتقد عليها أفلاطون لأنها منافية للطبيعة البشرية.

2.4 علاقة أرسطو بالمرأة:

لم يغير أرسطو من رأي أستاذه حول المرأة، إذ يتجه إلى اعتبار انحطاط المرأة و تفوق الرجل عليها هو فرق طبيعي ، و الغرض الأسمى للرجل هو إمعان النظر فيما في هذا الكون من جمال متنوع و بالتالي فحسبه أن الرجل يستحق عنوان الفيلسوف (أرسطو، صفحة 165)

وكلمة الإنسان التي يستخدمها أرسطو في حديثه عن طبيعة الإنسان وعن خير الإنسان الأقصى تعني الموجود البشري و فئة ضئيلة من ينطبق عليها هذا اللفظ و هي التي تشارك بالفضائل البشرية و الخير الأقصى و أما النساء و العبيد فهم فقط أدوات مساعدة لتحقيق السعادة القصوى للإنسان

أما عن نظريته في الوجود فقد آمن أرسطو بوجود تراتبيات هرمية في النظام السائد تتصاعد في الدهاء و التغيير ، فاعتبر النطاق العلوي خالداً لا يشوبه التغيير و هذا النطاق هو مقام الآلهة حيث يبلغ العقل و الغاية تمامهما ، أما النطاق السفلي أو الأرض فيحكمها الكون و الفساد و لقد طبق أرسطو مصطلحي الذكر و الأنثى على الكون النظامي ، إذ ذكر الطبيعة بوصفها أنثى فسمّاها " الأم " أما السموات و الشمس فاعتبرهما المحدث " الأب " فاعتبر الأب هو الأعلى و الأم هي الأدنى و يجب دوماً أن ينفصل الأعلى على ما هو أدنى (شيفرد، 1978، صفحة 28)

و من خلال أفكار أرسطو في الوجود و الطبيعة و الإنسان يتبين بوضوح موقفه من الأنثى فعلاقة الذكر بالأنثى هي كعلاقة السيد بالعبد و اعتبر وضع الرقيق مفيد و عادل فمن العدل حسبه أن يسيطر الرجال عن النساء " يمكن أن نشبه المحكوم بصانع الناي و الحاكم بالعازف الذي يستخدم الناي"، " الرئيس يجب أن يكون محبوبا أشد مما هو محب و كذلك بالنسبة للإنسان الأكثر نفعا و بالنسبة لكل أولئك الذين لهم السلطة ما، لأنه إذا كانت المحبة متناسبة مع أهلية كل واحد من الأشخاص فإنها تصير ضريبا من المساواة التي هي شرط أساسي للصدقة" (أرسطوطاليس، 1924، صفحة 245) كما يعتبر أرسطو العدل متمثلا في التفاوت و الاختلاف "إن المساواة ليست البتة شيئا واحدا في العدل و في الصدقة" (أرسطوطاليس، 1924، صفحة 247) و يؤكد أن النساء بالطبيعة أدنى من الرجال فكان من الطبيعي أن يحكمهن الرجال و الوظيفة الأساسية للأنثى هي الإنجاب و فضيلتها القصوى هي الطاعة كما فضيلة العبد في كونه آلة و خادم ، ثم يتساءل أرسطو حول حال المرأة إن كان بإمكانها أن تكون حكيمة و شجاعة مثل الرجل ثم يجب بأن المرأة لديها إرادة ناقصة و يزداد نبذه لها في فلسفته ، فيعتبرها موجود مشوه رغم أن وجودها ضروري في الطبيعة و الإنجاب هو المبرر الوحيد لوجودها و حتى في عملية التناسل فإن الذكر يقوم بالدور الإيجابي النشط بينما تقوم الأنثى بالعواء السلبي فقط و انتهى للقول أن المرأة هي كائن مجذب ، و لكنه ينتقد أفلاطون في إلغائه للأسرة بل يعتبرها أرسطو مؤسسة تزودنا بأصح الأجساد الممكنة و الرجل هو الذي يزود الطفل بالعقل و الصفات الأخرى أما الأم فهي تزودنا بالمادة فقط لذلك لا بد أن يظل عقلها و أن تهتم بمادة جسدها لتنجب أطفال أصحاء بدنيا . (أوكين، 2009، صفحة 58)

و الخطورة الإبيستيمولوجية لأفكار أرسطو في كونه اعتبر الفضيلة الإنسانية العليا هي العقل و قد نسبته للرجل أما خير النساء فيمكن في خضوعهن و انصياعهن المطلق للرجل ووظيفتها الأزلية هي إنجاب مواطن جديد و حارس للمنزل و لأن وظيفتها مختلفة عن العبد فإن خيرها مختلف كذلك عن خير العبد ، وهذه الأفكار الأرسطية وجدت ضالتها في الفترة السكولائية التي حكمت فيها الكنيسة و كرست الصورة

دغول دنيا زاد

الظلامية حول المرأة ، و ظلت موعلة في ظلامية ذكورية أفرغتها من كل قيمها الوجودية و من كل قدراتها التي قد تفوق قدرات الرجل ، بل أصبحت تابعة له ترى معالم شخصيتها و كل رغباتها و طموحاتها و معاملها الروحية و حتى الجسدية في إرضاء رجل فتحوّلت إلى رغبة مذابة في جموح رغباته الدنيوية و عقلا آليا يتلقى الأوامر من سيده فيتفانى في تطبيقها بحذر و مخربا يؤول إليه ليطفئ لذاته الجاحمة ثم يعود ليستئنف حياته و ممارسته للسلطة على أنثى ، أما الأنثى فقد ظلت مدلولا للضعف و السلبية و ظلت فاقدة لمعناها الحقيقي.

3. المرأة في الفلسفة الحديثة:

1.3 المرأة في فلسفة جون جاك روسو:

جون جاك روسو كان من بين الفلاسفة البارزين في عصر الأنوار ، و قد ظل روسو مخلصا لآراء أرسطو حول وظيفة المرأة ، فالإبداع و التعليم العقلي يخص الرجال أما النساء فوظيفتهم الإنجاب و خطورة أفكاره تكمن في كون أن المرأة عاجزة عن الوظيفة التعليمية كما أنها عاجزة تماما عن التفكير المجرد ، و اعتبر النساء هم مصدر شرور العالم (أوكن، 2009، صفحة 177)، و روسو يقدم نموذجين من النساء : النموذج الأول هو نموذج كلاسيكي تكون فيه المرأة محتشمة و متواضعة و خجولة و النموذج الثاني هو أن تكون مغرية لزوجها و مخصصة له ، و على المرأة أن تخضع لتربية أخلاقية مختلفة عن الرجل لكي يتحقق فيها الإخلاص و فضيلة العفة ، و يعلن أن اللامساواة بين الجنسين التي انعكست في القانون و العرف هو ليس من وضع الانسان بل هو حكم العقل (روسو، صفحة 250)

" إن سلوك المرأة خاضع للرأي العام ، فعلى المرأة أن تتلقى حكم أبيها و زوجها ، إن النساء لا يستطعن من تلقاء أنفسهن استخراج قاعدة الإيمان و لا يستطعن وضع الحدود العقلية لذلك الإيمان" و يحكم روسو على النساء بالتطرف العاطفي ثم يستئنف فيقول " يجب على المرأة أن تربي تربية نسوية صالحة بحيث تطبعها على حب مهام جنسها و الإشراف على بيتها و التسلي بأعمال التدبير و فنون البيت و الأسرة " (روسو، صفحة 251) و تشمل هذه التربية أن تكون المرأة رقيقة و خاضعة لسيدتها مطيعة له مهما

كانت مظلالمه و مهما كثرت رذائله فليست من التربية السوية أن تحتج على ذلك بل يحرس روسو على تعليمها كيفية الخضوع التام للظلم و الغبن و كيف تتحمل أخطاء الزوج من دون تدمير و هذا في إعتقاده من أجل مصلحتها (روسو، صفحة 252)

من المحير حقا أن نجد روسو من رواد الثورة الفرنسية ، فناقش مبدأ المساواة و ناقش كيفية التقليل من التفاوت بين الناس فكانت لديه كراهية عميقة للظلم و العنصرية و التمييز بين البشر ، كما ناقش السلطة السياسية و الحل المشروع لهذه المشكلة هو العقد الاجتماعي (أوكين، 2009، صفحة 178.179) و لكنه للأسف الشديد لم يدرج النساء ضمن هذه المناقشة بل غالى في طمس حريتهن ، فلم ينظر للنساء على أنهن مواطنات ينبغي أن يمنحن حق الاقتراع ، فهن لا يشاركن في الإرادة العامة ، أما الأسرة فهي مؤسسة طبيعية تقوم على المشاعر و من ثم فهي تفترق عن جميع الارتباطات السياسية الأوسع .

2.3 المرأة في فلسفة جون استيوارت ميل:

و في الحقيقة لم يتغير وضع النساء عند الفلاسفة الحداثين إلا مع جون استيوارت ميل فهو من بين الفلاسفة الليبراليين القلائل الذي شرع في تطبيق مبادئ الليبرالية على النساء و ينادي ميل في فلسفته بتطبيق المنفعة و هدفه تحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة لأكثر عدد ممكن من الناس و هذا لا يكون إلا بتقدم أخلاقي و عقلي كبير لدى الجنس البشري فاعتبر ميل أن تحرير النساء و مساواتهن بالرجال هو مطلب أساسي لتحسين أحوال البشر و قد ناصف قضية المرأة في مقالاته التي نشرها في جريدة "ويمانستر" الناطقة بلسان المذهب النفعي ، كما وافق ميل على حقوق النساء متساوية مع الرجال و من جميع الجوانب ، كما ارتبط بالجملة النفعية "فوكس" التي نشرت مقالات للدفاع عن النساء كمقال تيلور الذي دافعت فيه عن المساواة في تربية و تعليم النساء و كذلك حق الاقتراع و التصويت و من أقوال ميل بهذا الصدد " إن استبعاد أفراد من الرجال لأفراد من النساء هو أمر مرعب لا نستطيع أن نغض عنه الطرف "، "علينا أن نمنح النساء حرية استغلال ملكتهن . و أن نفتح أمامهن ميادين ذاتها المتاحة للرجال بنفس المكافئة و نفس التشجيع الذي تحظى به الموجودات البشرية الأخرى ، كما أن تربية النساء تربية ذهنية

دغول دنيازاد

حسنة كالتى يحظى بها الرجال و هذا يجعل للنساء قدرات على فهم الأعمال و الشؤون العامة و على إدراك الأمور العليا للتفكير النظري" (ميل، 1998، صفحة 136)، و يمكننا أن نفهم من خلال كتابات ميل أن التقدم البشري مرتبط بتحرير النساء ، فتفاوت الحقوق و الوظائف الإجتماعية بسبب الجنس عرقل من الإصلاح الأخلاقي و الاجتماعي

و قد اهتم ميل بالحرية و قيمتها عند الجنس البشري ناظرا اليها على أنها وسيلة مهمة للسعادة و للتطور الذاتي و يعتبرها أقوى حاجات الطبيعة البشرية (ميل، 1998، صفحة 258) ، كما أن مل هو أول فيلسوف يذهب إلى القول بأن الخير واحد بالنسبة للمرأة و الرجل و قد دحض الفكرة القائلة في علم النفس أن المرأة أقل قدرة من الرجل ، كما أقر بتأثير البيئة في تكوين الشخصية البشري.

4. الخاتمة:

ما نحاول الولوج اليه في هذه الورقة البحثية هو إعادة الاعتبار للمرأة هذا المخلوق البشري الذي ظلم كثيرا عبر التاريخ و ذلك من خلال العودة إلى النص الفلسفي و الحفر فيه علنا نجد الأسباب الكامنة و راء هذا الاحتقار و الازدراء الذي عاشته المرأة من قبل الفيلسوف الغربي فحتى ما نعيشه اليوم من دعاوي ضالة لحرية المرأة و انفلاتها من أصلها الطبيعي لم يأتي من فراغ و له جذوره في اللاوعي الإنساني حيث يتقاطع وضعها القديم الذي يقوم على تهميشها و كبت حريتها مع وضعها الحديث الذي يدعو لتشجيعها في الدعايات الإعلانية فأصبحت سلعة تشتري و تباع في الأسواق بدعوى تجارية ، و هذا التقاطع يتوجه نحو حقيقة واحدة هو أننا نخاف من المرأة فلم نفهمها بعد كما أنها لم تفهم هي ذاتها باعتبارها كائن بشري مميز له خصائص و صفات تميزه عن الجنس الآخر ، و لكن هذا لا يدعونا لأن تقف الأنوثة موقف عداء من الذكورة بل هما مفهومان متوازنان في إطار مجتمع واحد.

5. قائمة المراجع:

1. أرسطو. الكون و الفساد. (أحمد لطفي السيد، المترجمون)
2. أرسطوطاليس. (1924). علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ، الجزء الثاني. (أحمد لطفي السيد، المترجمون) القاهرة.
3. أرنست باركر. (2002). النظرية السياسية عند اليونان . (محمد سليم سالم، المحرر، و لويس اسكندر، المترجمون)
4. أفلاطون. (1994). الجمهورية، المجلد الأول. (شوقي داود تمارز، المترجمون) بيروت ، لبنان.
5. أفلاطون. (1986). محاوره القوانين. (د تيلور و محمد حسن ظاظا، المترجمون) القاهرة.
6. امام عبد الفتاح. (1996). أفلاطون و المرأة. القاهرة: الطبعة الثانية.
7. باسمه كيال. (1981). تطور المرأة عبر التاريخ. بيروت.
8. جون استيوارت ميل. (1998). استعباد النساء الطبعة الأولى. (امام عبد الفتاح امام، المترجمون) القاهرة.
9. جون جاك روسو. اميل. (نظمي لوقا، المترجمون)
10. سوزان مولر أوكين. (2009). النساء في الفكر السياسي الغربي (الإصدار الطبعة الأولى). (إمام عبد الفتاح إمام، المترجمون) بيروت.
11. فؤاد زكريا. (2004). دراسة لجمهورية أفلاطون. الإسكندرية.
12. كلود ليفي شتراوس. العرق و التاريخ. (سليم حداد، المترجمون)
13. ليندا جين شيفرد. (1978). أنثوية العلم. (بمى طريف الخولي، المترجمون) الكويت.

دغول دنيازاد

14. نادرة السنوسي. (بلا تاريخ). الذاكرة الذكورية للفلاسفة الغربيين ضد قابلية المرأة للتفكير . الفلسفة و النسوية ، صفحة 22.

15. هوميروس. (2013). الأوديسة. (دريني خشبة، المترجمون) بيروت، القاهرة ، تونس: دار التنوير.

16. ول ديورنت. قصة الحضارة. (زكي نجيب محمود، المترجمون) بيروت، لبنان.